وفاء

معنف

الدكتور جميل سلطان

عهدُ الشبابِ ومثلُه لم يُعهدِ ... ولىّ مع الأحلامِ والزهرِ الندي

طُويتْ بُرودُ الحسنِ من أيامِهِ ... فكأننا من بُرْدِهِ لم نرتدِ

ومضتْ حوافلُ مُزْنِهِ وتظنُّها ... ما أمطرت يوماً لعيشٍ مُرغَدِ (١)

وذوتْ نجومُ الأرضِ مذعطشَ الثرى ... وجفا ذرى الأفنانِ كل مغرّدِ (٢)

وبدا ضياءُ الشيبِ في إشراقةٍ ... كالفجرِ يطلُعُ من إهابٍ أسودِ

فكأنهُ زهرٌ يروقُكَ حسنُه ... والزهرُ محبوبٌ وإن لم يتعقدِ

فارجعْ إلى زَهوِ الشبابِ وتيهِهِ ... تلقَ الشموعَ شوامخاً في المعبدِ

والنورَ تقذفُهُ العيونُ كأنَّهُ ... ومضٌ يندُّ عن الضِرامِ الموقّدِ

وبكلِ نفسٍ ثورةٌ لا ترتضي ... ما أبلتِ الأزمانُ من مُتعوّدِ

وتطلّعٌ لبناءِ مجدٍ خالدٍ ... صُنعَ الذينَ أتَوا بكلِ مُجدِّدِ

* * *

---

(١) أرغد القوم : أخصبوا وصاروا في رغد العيش . وأرغد الله عيشه : جعله رغيداً ، أي طيباً متسعاً فهو مرغد العيش .

(٢) نجوم الأرض : أزهارها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وشيوخُنا الأبرارُ جـــادَ ثراهمُ غدَقٌ من الرضوانِ غيرُ مُصرَّدِ (١)
كانوا الأئمةَ إنْ قصدتَ حِماهمُ فخُطاكَ في هدي لأشرفِ مقصدِ
وإذا رغبْتَ بخيرِ ما يرجو الفتى ألفيتَ عندهُمُ رجـــاءَ المجتدي
كانوا مصابيحَ الهـــدايةِ للورى في نورِهـا يمضي المُجِدُّ ويهتدي
أتقولُ : هم مثلُ النجومِ ؟ وإنهمْ لأدلُّ منهـــا للسبيلِ الأرشـدِ
مِن كلِّ ثبْتِ العلمِ موفورِ النهى متواصلِ الحلقاتِ بَرِّ المعْقِدِ (٢)
عِقدٌ بأوسطِهِ تقـــومُ فريدةٌ بينَ اللآلىءِ في ضياءِ الفرقَدِ (٣)
ما مثلُه في الأرضِ عقداً كامـلاً ضمَّ النوابـغَ للرئيسِ « محمدِ »

* * *

ربُّ البيانِ إذا سمعْتَ مقـــالتهُ راعتْكَ منهُ رصـانةُ المُتَشدِّدِ
وإذا سبرْتَ الغورَ من تفكيرِهِ أبصـرْتَ فيهِ ثورةَ المُتَجدِّدِ
وإذا أطلَّ على الجموعِ محاضـــراً من فوق منبره فقدْ سحرَ الندي (٤)
وترى ذوي الألبابِ منه بموضـعٍ في حُسنِ مُستمَعٍ وصدقِ تودُّدِ
يُصبي القلوبَ ويستبدُّ بوعْيِهـــا حـــرٌّ من الآراءِ لم يُستعبدِ
أحيا بليغَ القولِ عذبُ مقالهِ وأتى بصَرْحٍ في البيانِ مُمرَّدِ
صانَ العروبةَ إرثَها وصفاءهـــا واشتدَّ في ردِّ الدخيلِ المُفْسِدِ

---

(١) الغدق : الماء الكثير . صرد العطاء : قلله ، والمصرد : القليـــل ، وصرَّد الرجل : سقاه دون الري .

(٢) عقد النية والبيع والأمر : أحكمه واشتد فيه . وهو بر المعقد : كناية عن كونه حسن الطوية .

(٣) الفريدة : الجوهرة النفيسة .

(٤) الندي : بمعنى المجلس ، وهو المنتدى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وإذا بغى فيما يؤرّخُ مُبطلٌ ... ومشى مع الأهواءِ مشْيَ مُفنَّدِ (١)
نالتْهُ من قلمِ الرئيسِ لواذعٌ ... تبغي الصوابَ وغيرَهُ لم تَنْشُدِ
علمٌ وتجربةٌ وفكرٌ ثاقبٌ ... وجراءةٌ لم تستكنْ لمُسَوَّدِ
ومحامدٌ في نشرِ كنزٍ داثرٍ ... أغفى طويلًا في الغُبارِ الأرْبدِ (٢)
وإثارةٌ لعزائمٍ مطويّةٍ ... لولاه لم تظفرْ بزندٍ مُؤيّدِ
وبكلِ قطرٍ من جليلِ صنيعِهِ ... وِرْدٌ من العرفانِ يغشاهُ الصدي (٣)
تلكَ المآثرُ إن ذكرتَ شتاتَها ... أعيتْ على التعدادِ كلَّ مُعدِّدِ
حتى إذا بلغَ المدى من سَوْطِهِ ... أفضى الزمانُ به إلى المُتوسِّدِ (٤)
ومضى عن الصرحِ الذي قدْ شادَهُ ... فترعاهُ أربابُ البيانِ المُحْصَدِ (٥)

* * *

وتتابعَ الأجيالُ يخلُفُ بعضُها ... بعضاً ويأخذُ مُطرِفٌ عن مُتْلِدِ (٦)
ثم استقرَّ الجمعُ حولَ رئيسِهِ ... علمِ البلادِ بفنهِ المُتفرِّدِ
«حُسني» الذي صحِبَ البلاغةَ عالمُهُ ... وشفى من الأسقامِ كلَّ مُنكَّدِ
وأذلَّ للفصحى الدخيلَ وما ونى ... عن أعجميٍّ نافرٍ مُتمرِّدِ

---

(١) فنده : خطأ رأيه وضعفه ، والمفند : المخطأ في رأيه .
(٢) الأربد : ما كان فيه ربدة وهي لون الغبرة .
(٣) الصدي : العطشان عطشاً شديداً .
(٤) المدى : الغاية والمنتهى .
(٥) أحصد الحبل : فتله فتلاً محكماً فقوي واشتد ، والرأي المحصد : الرأي الحكيم كالأحصد وهو من المجاز .
(٦) أطرف : أتى بالشيء الجديد المستحسن فهو مطرف . وأتلد الرجل : كان ذا مال تالد ، أي عريق قديم فهو متلد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عرَفَ الأماثلُ عبقريـــةَ فضلِهِ فأقيمَ بينهُمُ بأكرمِ مقعـــدِ
ولكلِ عضوٍ منهمُ الفضلُ الذي إنْ طاولتْهُ يدُ العِدى لم تَنْهدِ (١)
نشروا الفضائلَ في الأنامِ ومن يجيءْ لِمَاهُمُ يشفي الفؤادَ ويَزْدَدِ
أنعِمْ بهمْ من حافظينَ لمجمَعٍ يحمي حِمى الفصحى بجُهدٍ مُجْهَدِ
فإذا أثاروا اليومَ ذكرى ماجدٍ صانَ البيانَ فذكْرُهُ لم يَنْفَدِ
يُحيونَ في ذكراهُ سالفَ عهدِنا من أمةٍ غنيتْ بكلِ مُمَجَّدِ
من طالعينَ على الأنامِ كواكباً أو باذلينَ الرِفْـــدَ المُسْتَرْفِدِ

* * *

يا تاركَ الأثرِ الحميدِ وناشرَ النـــورِ الجديدِ لكلِّ جَفْنٍ أرْمَدِ
مهدْتَ للغادينَ في طلَبِ العُلى ما كانَ وعْرَ الدربِ غيرَ مُمَهَّدِ
وبذلْتَ في التعليمِ أقصى همةٍ وفتحْتَ فيه كلَّ بابٍ مُوصَدِ
وبعثتَ للغربِ الشبابَ ليجتنوا خيرَ الثمارِ فكنتَ أولَ موفِدِ
وصحِبْتَهم فرأوكَ أكرمَ والدٍ ومِنَ الوِدادِ بُنوةٌ لم تُولَدِ
فعلى الطفولةِ منكَ قلبٌ مُروِّعٌ وعلى الشبيبةِ منكَ عينٌ مُسهِّدِ
وعلى هُدى السَّنَنِ الذي أشرعْتَهُ للعاملينَ يسيرُ مَنْ بكَ يقتدي (٢)

* * *

قالوا له يوماً : رُويدكَ لا تكنْ في البذلِ للأبناءِ مبسوطَ اليدِ
إنَّ المعاهدَ إنْ علَتْ درجاتُها كانتْ أحقَ بكلِ مالٍ مُرْصَدِ
والراشدونَ المُصْعِدونَ إلى الذرى أولى من النشءِ الذي لم يُصعِدِ (٣)

---

(١) نهد : شخص وقام إليه ، وعلا وارتفع .
(٢) السنن : الطريق .
(٣) أصعد في الأرض : مضى من أرض إلى أعلى منها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أتراهمُ نكروا حقيقةَ أمره ؟ ... وهُم مِنَ الآراءِ ما لم يُجْحَدِ !
أم هالهم أن تستمرّ لهُ يـــدٌ ... طولى على مرِّ الزمانِ السرمدِ ؟
أم أنهم وجدوا حِمى أبنائنـــا ... هَيْناً لِكَفِّ الطامعِ المُتَوعِّدِ ؟
فاستضعفوا الطيرَ الأنيسَ وأحجموا ... عن كلِّ حامٍ حوضَهُ مُسْتأسِدِ
والناسُ لا تَخشى أغاريدَ الضُحى ... لكنها تَخشى هَزيمَ المُرعِدِ (١)
عَجِبَ الرئيسُ لِما يُقيِّدُ خَطوهُ ... لكنَّه عن قصـــدهِ لم يَقْعُدِ
ومضـــى إلى المرجوِّ من آمالهِ ... ليَشيدَ الأبنـــاءِ خيرَ مُشَيِّدِ
وأصاخَتِ الدنيا لتسمـــعَ قولهُ ... في حكمـةٍ هي مُؤْنةُ المُتَزَوِّدِ
إذْ قال : هذا الغرسُ مقبلُ أمتي ... أأخونُها في العلمِ ؟ يا ويحَ الردي
أفأمنعُ الغرثانَ قوتَ حياتهِ ؟ ... أم أحرمُ الظمآنَ عذبَ المَوْردِ (٢)؟
لو قطَّعوا من راحـــتيَّ أناملي ... لم أقتطعْ من ذُخرِ أبطالِ الغدِ
فضلٌ على الأجيـالِ أثبتَهُ أبٌ ... حَفِظَ الحقوقَ وحالَ دونَ المُعتدي

* * *

ياصاحبَ الأيدي وجسمُكَ مُبْعدٌ ... لكنَّ روحَكَ ههنا لم تَبْعَدِ (٣)
بالأمسِ كنت مكبِّرمي في عصبةٍ ... شعراءَ في عزِّ الشبابِ المُسْعِدِ
فحملتُ منكَ جميلَ ما أوليتَني ... واليومَ صرتُ مـع الوفاءِ بموعدِ
والدَّينُ حقٌ لا يُضامُ ومَنْ يقمْ ... بأدائِهِ يرعَ الذِمـامَ ويُحْمَدِ
أفأستطيعُ وفـــاءَ ديني بعدمـــا ... طالَ الزمانُ وعزَّ فيـهِ مُنجدي

---

(١) الهزيم : صوت الرعد .
(٢) الغرثان : الجائع .
(٣) لم تبعد : (بفتح العين) لم تهلك ولم تمت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أأفي وفضلُكَ فوقَ كلِّ بلاغةٍ ... من شاعرٍ جزْلِ المقالِ مُقصّدِ
ويضيقُ عنكَ الحرفُ إنْ أوردتُهُ ... كمفوّهٍ وافي الثناءِ مُجوّدِ (١)
وبحسْبِ عرفاني لسانٌ ذاكرٌ ... لم أجترحْ فيهِ ولم أتردّدِ (٢)
أني خبرتُ العبقرياتِ التي ... أنوارُها سطعتْ ولمّا تَخْمَدِ
فأكادُ أجزمُ أن ما أوتيتَهُ ... لم يجتمعْ يوماً لشخصٍ أوحدِ
فلأنتَ إنْ ذُكِرَ النوابغُ أمةٌ ... جمعتْ عُلىً في غيرِها لم تُوْجدِ

* * *

صلّى عليكَ اللهُ في جنّاتهِ ... وحباكَ بالنُّعمى ونورِ المَشْهدِ
لجزيلِ ما أثّلْتَ في تاريخنا ... ودفعْتَ عن إرثٍ عريقِ المَحْتِدِ
وأبنتَ أنّ اليعربيةَ أمةٌ ... تبقى على الأيامِ أمَّ السؤددِ

(١) المفوّه : البليغ الكلام .
(٢) اجتراح الإثم : ارتكابه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net